

# القائد السياسي: الإمام علي عليه السلام نموذجاً

شبكة النبأ

الإيثار ونكران الذات وتفضيل الآخر على نفسه وذويه ومعيته من العاشية أو غيرهم، ونبذ الامتيازات الدنيوية التي تطيح بالقائد وتدفعه نحو الحضيض شاء أم أبى، فتحصين النفس من حب الدنيا بالطرق اللامشروعة هو السور الحصين الذي يحمي القائد السياسي من السقوط والفسل في أدائه لمهامه، في هذا المجال يقول سماحة المرجع الشيرازي دامت له:

(ما كان أهون عند الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام من الدنيا وما فيها. فالمال، والحكم، والسلطة، والفرش، واللباس، والقصور، والأكل، والشرب.. كلها عند علي عليه السلام لا شيء، إلا بمقدار الحاجة الضرورية).

فحين تؤول الأمور والأموال للقائد وتصبح بين يديه وطوع رغباته، هنا لا بد له من الحذر من هذا الفخ، ولا بد له من مراعاة حقوق الرعية، فالمال العام هو حق للأمة ولعامة الناس، والتجاوز عليه من قبل القائد أو بدفع منه، إنما يمثل خطوة أولى وخطيرة نحو الانزلاق في مهاوي الفشل الذريع، لهذا يجب أن يتعفف القائد النموذج عن السقوط في هذا الامتحان العسير، وقد ذكر سماحة المرجع الشيرازي دامت له بكتابه نفسه حول هذا الموضوع قائلاً:

(أربع سنوات أو أكثر قضاه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بين الكوفة والبصرة، وهو الرئيس الأعلى للبلاد الإسلامية الواسعة الأطراف. خلال هذه المدة الطويلة لم يشتر من مال المسلمين ثياباً لنفسه، ولم يأخذ من أموال البصرة والكوفة شيئاً لذلك. بل ظل على ثياب المدينة كل هذه المدة الطويلة، إلا إذا اشترى من عطائه الخاص كأضعف مستضعف من مسلم آخر في طول البلاد الإسلامية وعرضها).

إن هذه القدرة على ردة النفس للحاكم أو القادة عموماً هي التي تمنحهم النجاح ومحبة الناس وتقديرهم، فكلما كانوا أكثر زهداً بمزايا الحياة والسلطة، كلما كانوا أكثر سموً وتقديراً من قبل الأمة وأكثر قرباً إلى الله تعالى، ولهم في شخصية وسيرة الإمام علي عليه السلام نموذجاً خالداً في هذا المجال، إذ يقول المرجع الشيرازي دامت له في كتابه القيم نفسه:

(في الوقت الذي عمت الخيرات بلاد المسلمين وفضل الإسلام، فكان المسلمون وغير المسلمين يرفلون في نعيم من الطيبات. وكانت الكوفة - عاصمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - لا تجد بها إلا المنعم من الناس. في مثل هذا الظرف تجد سيد الكوفة، وسيد البلاد الإسلامية، وزعيم الإسلام: أمير المؤمنين عليه السلام لا يأكل حتى ما يأكله أدنى الناس).

السياسة بحر عميق، لا يمكن أن يخوضه كل من يرغب في ذلك، بل لا بد أن تتوافر فيه مواصفات خاصة، تمكنه من النجاح في أداء دوره، لكي يكسب رضا الله تعالى أولاً، ورضا الناس الذين يسوسهم، ولكن في ظل التركيب النفسي الغرائزي المتداخل للنفس البشرية، سيكون من الصعب على السياسي أن يحقق وظيفته القيادية بنجاح ما لم تتصف شخصيته بالصفات التي تساعده على النجاح.

يقول سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دامت له في كتابه الثمين الموسوم بـ«السياسة من واقع الإسلام»: (السياسة بحث واسع مترامي الأطراف، وبحر عميق عريض لا يبلغ غوره وسواحه إلا القليل القليل.. فهي كيفية إدارة شؤون الناس في السلم والحرب، والأخذ والعطاء، والشدة والرخاء، والاجتماع والافتراق، وغير ذلك. وإذا علمنا أن الناس كما يختلفون في أشكالهم، وألوانهم، ولغاتهم.. كذلك: يختلفون في أذواقهم، وعقولهم، وعواطفهم. ويختلفون في إدراكهم، وفهمهم، وتحليلهم. يختلفون في خلفياتهم، ونظراتهم، ومعطياتهم. فبين شباب لا ثقة لهم بفكر الشيوخ. وبين شيوخ لا ثقة لهم بتجدد الشباب. ومن هنا تلعب الأهواء، والميول، والاتجاهات.. في هذا المجال أدوارها الفعالة بين حسد، وغبطة، وتنازع على الصعود، وغير ذلك الكثير.. والكثير.. والكثير..).

لهذا السبب لا يمكن أن ينجح الإنسان في دوره السياسي القيادي، ما لم يحصل مسبقاً على القدرة في التحكم بنفسه وقيادتها، بدلاً من أن يحدث العكس، بمعنى إذا فشل القائد بمسك زمام نفسه والتحكم برغباتها، فإنه سيفشل قطعاً ويتحوّل إلى عبد للسلطة، وسرعان ما يصبح طاغية، لا يعرف سوى مصالحه الشخصية والعائلية والحزبية، حتى لو تحقّق ذلك على حساب ملايين الضحايا!

ولهذا لا بد للسياسي المعاصر في الدول الإسلامية أن يتخذ له نموذجاً يتعلم منه ويسير على خطاه، وأمامنا التجربة القيادية الخلافة لأمير المؤمنين علي عليه السلام إذ يمكن الأخذ بها ودراستها والتبحر في مناهجها لكي يتسنى للسياسي المعاصر تحقيق وظائفه إزاء الناس، يقول سماحة المرجع الشيرازي دامت له في هذا الصدد بكتابه نفسه:

(كانت سياسة أمير المؤمنين عليه السلام العملية خير درس للقادة وللمسلمين في تطبيق حياتهم العملية السياسية عليها، كما كان ذلك بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله).

ولعل الخطوة الجوهرية التي ينبغي أن يتخذها السياسي هي حالة